خطبة الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٧/٢٥

في مسجد بيت الفتوح بلندن

✡✡✡✡✡

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضالِّينَ﴾، آمين.

العشرة الأخيرة من شهر رمضان الفضيل تمر في هذه الأيام بسرعة كبيرة، وفي هذه العشرة ينتبه المسلمون إلى أمرين اثنينِ بوجه خاص أو لِنقُل بأنهم يهتمون بهما أكثر من ذي قبل. أولهما ليلة القدر والثاني هو جمعة الوداع. أما أولهما أي ليلة القدر فتحتل أهمية حقيقية كما هو ثابت من النبي ﷺ أيضا. وقد ذُكرت هذه الليلة في الأحاديث في روايات مختلفة وفي القرآن الكريم أيضا. وأما جمعة الوداع فقد صبّغها المسلمون أو المشايخ بصبغة خاطئة من خلال تفاسير قاموا بها على أهوائهم. وسألفتُ أنظاركم اليوم إلى هذين الأمرين وسأذكر أهميتهما وحقيقتهما بإيجاز. وقد استفدتُ إلى حد ما من خطب حضرة المصلح الموعود ﵁ لخطبة اليوم.

لقد ذكر مختلف الرواة تواريخ مختلفة بصدد ليلة القدر. فمنهم من يقول بظهورها في ليلة الحادي والعشرين من رمضان وهناك من يقول بأنها تقع بين ٢٣ إلى ٢٩ منه، وهناك بعض الرواة الذين يصرون على أن ليلة ٢٧ أو ٢٩ من ليالي رمضان هي ليلة القدر بالتحديد. ولكن الرواية المتفق عليها في هذا الصدد هي أنه يجب أن نلتمسها في العشر الأواخر من رمضان.

على أية حال، إن ليلة القدر لها حقيقة ثابتة. وصحيح أيضا أن النبي ﷺ أُخبر عن هذه الليلة بالتحديد.. أي حين يمرّ المؤمن الحقيقي بتجربة خاصة لاستجابة أدعيته وتجاب أدعيته بوجه عام. ويثبت من الروايات أيضا أن النبي ﷺ أُنسي موعد هذه الليلة بسبب خطأ رجُلين من المسلمين. إن علم هذه الساعة ليس أمرا عاديا لدرجة أنّ رسول الله ﷺ تمنى أن يخبر جماعة المؤمنين أيضا بما أخبره الله تعالى عنها. لقد جاء في الأحاديث أن النبي ﷺ خرج من بيته فرحا مسرورا ليخبر بها الناس ليستفيدوا منها ولكن عندما خرج من بيته رأى شخصين من المسلمين يتشاجران فانشغل النبي ﷺ في رفع الشجار الدائر بينهما وانصرف انتباهه عن موعد تلك الليلة إذ قد بذل النبي ﷺ وقتا لا بأس به في إقناعهما بالصلح وفكّ النــزاع بينهما.

على أية حال، توجّه النبي ﷺ إلى الموضوع مرة أخرى وقال بأني كنتُ جئت لأخبركم عن ليلة القدر، ولكنه ﷺ كان قد نسيها عند ذلك، بل ورد في الأحاديث: "أُنسيتُها". يقول المصلح الموعود ؓ أيضا بأنه يثبت من كلمات الحديث أن النبي لم ينسها فقط بل شاء الله أن تُمحى وتُرفع. فقال ﷺ بأن علم تلك الساعة رُفع بسبب الشجار أو الاختلاف الدائر بين المسلمَينِ فلا أستطيع أن أخبركم بها بالتحديد ولكن "الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي الْوَتْرِ".

لقد بيّن المصلح الموعود ؓ نقطة جميلة جدا في هذا الصدد وهي أن الساعة التي بسببها أُطلق على تلك الليلة اسم ليلة القدر تتعلق بوحدة الأمة. فهذه نقطة مهمة جدا مع أنه يقال عادة بأنه لو لم يتشاجر هذان المسلمان لعلمنا موعدا معينا لهذه الليلة، ولكن قليلا منا من يتوجّه إلى الرسالة الهامة الكامنة في الموضوع وهي أن الساعة التي بسببها سمِّيت ليلة القدر تتعلق بوحدة الأمة. والقوم الذين تتلاشى منهم الوحدة تُرفع من بينهم ليلة القدر أيضا. اليوم نضطر للقول بكل أسف أن من سوء حظ البلاد الإسلامية أنه لم تعُد فيها الوحدة باقية، إذ هناك حروب ناشبة بين مختلف فئات الشعب، كذلك تقاتل الرعيةُ حكومتهم وتقتل الحكوماتُ رعاياها وتظلمهم. أي لم تتلاش الوحدة فقط بل هناك مظالم أيضا تُرتكب دون هوادة ورحمة. فبسبب عدم الوحدة بين المسلمين يتشجع الأغيار أن يفعلوا ضدهم ما يحلو لهم. ولهذا السبب فقط تقتل إسرائيل الفلسطينيين الأبرياء دون هوادة. لو تمسك المسلمون بوحدتهم وحافظوا عليها وسلكوا السبل التي أرشدهم الله إليها لحازوا قوة كبيرة ولما ظُلموا على هذا النحو، ولكانت هناك قواعد وقوانين للحرب والضرب أيضا. من المعروف أن أهل فلسطين لا يملكون حولا ولا قوة مقابل إسرائيل. إذا قيل بأن "حماس" يرتكبون المظالم، فعلى البلاد الإسلامية أن تمنعهم أيضا من ذلك. ولكن مَثل ظُلمهم كمثل شخص يضرب أحدا بالعصا فيواجهه جيش بالمدافع.

لقد أُقيم حفل تأبين في تركيا قبل بضعة أيام ضد هذا الظلم، ويظن أهل البلاد الإسلامية أنهم قد أدّوا مسؤوليتهم في هذا الصدد. والقوى الغربية أيضا لا تؤدي مسؤوليتها. كان من الواجب أن تُمنع كلتا الجهتين. أما نحن فلا نملك إلا أن نرفع أكف الضراعة في حضرة الله أن ينقذ المظلومين والأبرياء من هذه المظالم وأن يستتب الأمن في المنطقة. كذلك هناك مظالم تُرتكَب في البلاد الإسلامية أيضا على بعضهم بعضا وتزداد الفسادات ويصبّغ البعض أيديهم بدماء بعض آخرين، ندعو الله تعالى أن يهبهم العقل والفطنة ليتجنب الناس هذه المظالم ويستتب الأمن والوئام بينهم. وبدون ذلك لا يمكن أن يؤدوا حقوق العبادة، ولا يمكن أن تتحقق أمنيتهم للحصول على ليلة القدر لأنه عندما تُرفع الوحدة من قوم تُرفع منهم ليلة القدر أيضا. ولا تكون في نصيبهم إلا الليالي والظلمات وأنواع الحُلكة، ويتوقف تقدُّمهم.

المراد من ليلة القدر هي الليلة التي تُقدَّر فيها أقدار الإنسان ويُحكَم فيها كيف سيُعامَل فلانٌ في السنة المقبلة وإلامَ يتقدم وينال الرقي وما هي المنافع التي سيحصل عليها أو ما هي الخسارة التي يُمنى بها. القرارات بتقدم الإنسان تُؤخذ في الليل أي في الظلمة. لقد ربط المصلح الموعود هذا الرقي بالرقي المادي وقال ضاربا مَثله أنه يتبين من القرآن الكريم أن الإنسان ينال تقدما ماديا أيضا في أثناء الظلمة المتواصلة. الإنسان يتولد من بطن أمه والمعلوم أن بطن الأم مجموعة عديدة من الظلمات وفيها يؤخَذ قرار تقدّم الإنسان المادي. فلو لم ينل الجنين

النمو المناسب فسيبقى ضعيفا. من المعروف أن البيئة المادية التي تعيشها الأم تؤثر على الجنين. كذلك الأغذية التي تأكلها الأم أيضا تؤثر في الجنين؛ فإن لم تكن البيئة التي تعيشها الأم سليمة فلن تكون أخلاق الجنين جيدة، لدرجة يقال بأن الأمهات اللواتي يعشن مذعورات لا يستطيع أولادهن أن ينجزوا في حياهم أعمالا مهمة. وفي بعض الأحيان يتولد الأولاد ضعفاء ذهنيا بسبب الذعر الدائر في الخارج. الطعام الجيد والبيئة الحسنة تترك تأثيرا إيجابيا على صحة الجنين. لذلك كره الإسلام بل نهى الحوامل عن الصيام لأن ذلك يؤدي إلى نقص في نمو الجنين. وللسبب نفسه لم يحبذ الإسلام الطلاق في حالة الحمل لأن الحزن والصدمة الناتجة منه يؤدي إلى خلل في نمو الجنين ولأن الهياج في العواطف يؤثر سلبا على نمو الجنين.

ثم علّم الإسلام الزوجين لاجتناب الأفكار السيئة دعاء لكيلا تنشأ في قلوبهما أفكار من هذا القبيل فتتطرق إلى الأولاد أيضا. لقد ورد في الحديث أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، لذا على الزوجين أن يدعُوا أن يُبعدهم الله من ذلك الشيطان الذي يجري في دمهما ليُعصَم أولادهما من الشيطان.

إذًا، الشريعة تُعلِّم أخذ الحيطة والحذر الشديدين بعين الاعتبار في هذه الأيام وذلك من أجل نمو الجنين وتربيته حين يكون الجنين في الظلمات، وهذا الحذر يبقى قائما ما دامت سلسلة الظلمات جارية. وسلسلة الحذر والحيطة تمتد إلى فترة رضاع الولد حليب أمّه، لأن الطفل في هذه الأيام لا يكون متوجها إلى الدنيا من أجل حياته بل إلى أمه فقط. لذلك مُنعت الأمّ من الصيام في هذه الأيام أيضا كيلا يضر ذلك بصحة الولد ونموه وتربيته. فكما يتأتّى الرقي المادي في الظلمات كذلك يحصل التقدم الروحاني أيضا ليلا. وكل قوم ينال تقدما روحانيا بقدر ما قدموا من التضحيات في المراحل الابتدائية. وإن ليلة القدر لهذا القوم يكون معيارا لفترة تقدمهم، بمعنى أن ليلة القدر لقوم يكون معيارا لعمره. لذلك قال النبي ﷺ أنه بقدر ما يكون الإنسان مقربا إلى الله يواجه الابتلاءات بالقدر نفسه.

فلا بد من الانتباه إلى أننا أيضا نمر بالابتلاءات في بعض الأماكن وهذا يشكّل ليلة القدر لنا. فبسبب الابتلاء يلتمس المرء ليلة القدر بشدة وحماس أكبر، ويتوجه إلى الدعاء أكثر من ذي قبل. والمعلوم أن الإنسان يخضع أمام الله تعالى بوجه خاص عندما يعاني من مصيبة أو ظروفا عصيبة. وهذه الحالة تساعد الإنسان على المرور بفترة التربية والنمو بنجاح. ولكن إذا فقدنا معايير الوحدة لن نستطيع أن نستفيد من ليلة القدر بصورة صحيحة. وإذا استمررنا في تقديم تضحياتنا في سبيل الله حاسبين إياها مجلبة لرضا الله تعالى فسوف نستمر في حيازة النجاحات المتتالية أيضا. وبذلك سننال حياة جديدة ونبرز للعيان بصورة جديدة. وإذا حافظنا على وحدتنا لوجه الله ونيل رضاه فسوف نعبر محطات جديدة للتقدم والازدهار بإذن الله.

فهذه نقطة مهمة جدا يجب أن يجعلها كلٌّ منا نُصب عينيه، ألا وهي أن القرار لرقينا غير العادي لن يصدر إلا إذا مررنا بليلة القدر بنجاح. لا شك أن هذا الحكم كله في يد الله وهو الذي يستجيب الأدعية وهو الذي يقدر أن يجعل ليلة القدر في نصيب من يشاء. ولكن لا بد لنا من الالتزام بأمور تساعد على الحصول على ليلة القدر، عندها يكون مطلع الفجر أيضا غير عادي، وعندئذ يلاحَظ اليومُ الذي يطلُع علينا حاملا نجاحات غير عادية لنا. فعلينا أن نضع كل هذه الأمور في الحسبان للاستفادة من ليلة القدر. المراد من ليلة القدر هي ساعة التضحية

المقبولة عند الله. وإذا قُبل أي شيء في حضرة الله فأي صفقة أفضل وأكثر ربحًا منها؟ لذا علينا أن نسعى للتضحيات المقبولة. لقد قُتل الكفار والمسلمون في الغزوات الإسلامية ولكن هلاك الكفار لم يكن ليلة القدر لهم، بينما كان استشهاد المسلمين ليلة القدر لهم حتما، ذلك لأن الله تعالى شرف تضحياتهم بالقبول. ينبغي أن نتذكر دائما أن المعاناة التي لا يقيم الله لها قيمة فهي ليست بليلة قدر بل هي عقاب وعذاب، أما المعاناة التي يقيم الله لها قيمة فهي ليلة قدر حتما، أعني أن الظلمة والبلاء والأذى التي يقضي الله بالجزاء عليها هي ليلة قدر. لقد قدّر الله تعالى للإنسان ساعات تضحيات، فإذا ضحى فيها نالت القبول عنده يقينا. والجماعة الإسلامية الأحمدية قد ترى مشاهد ذلك ولا تزال، فهي تتعرض في بعض البلاد لظروف صعبة تبشر بطلوع ليلة القدر لها، حيث تتسبب هذه المعاناة في تأسيس فروع جديدة للجماعة في شتى البلاد والمدن. فكي نرث المزيد من فيوض وبركات ليلة القدر هذه يجب على كلٍّ منا أن يعاهد على أننا سنزداد اتفاقا واتحادا، وإذا كان هناك خلل في هذا الاتحاد فسوف نسده فورا. اعلموا أننا سنرث بركات ليلة القدر الحقيقية إذا ما صرنا مثالا لقول الله تعالى في صفة المؤمنين بأنهم (رحماء بينهم). فعلينا أن يسعى كلٌّ منا في شهر رمضان هذا أن يقضي على أية ضغينة بينه وبين أخيه، لكي يرث بركات ليلة القدر بشكل فردي أيضا، وكذلك لنقطف ما قدّر الله لنا كجماعة من ثمار ليلة القدر وترقياتها وإنعاماتها. ينبغي أن نتذكر أيضا أنه كلما ازداد مطر أفضال الله نزولاً علينا ازداد العدو في عرقلة طريقنا وإلقائنا في الفتن والمحن، ولا تظنوا أن هذه الفتن والاختبارات منحصرة في بعض البلاد، كلا بل إن نار الحسد هذه تحاول بشدة إعاقة رقينا في كل مكان، إلا أن بشرى ليلة القدر تبشّرنا بنجاتنا من نتائج شرورهم وازدهار جماعتنا وقبولية دعائنا. فما دمنا نسعى لإصلاح أنفسنا بما يرضى به ربنا فسوف نظل ننتفع من فيوض ليلة القدر. إن غاية المؤمنين وسعيهم ورغبتهم إنما هي أن يروا ازدهار الجماعة في أوجِه كما وعد الله بذلك، وانتماؤنا إلى المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يفرض علينا أن نسعى لنكون جزءًا من تلك الترقيات التي نبّأنا بها، وهذا سيتأتى بتحقيق أمرين هما الغاية من بعثته عليه السلام كما بيّنَ، أوّلهما وصلُ العباد بربهم، وجعْلُ الناسِ يؤدي بعضهم حقوق بعض. فهناك مسؤوليتان علينا، أولاهما أن نرفع مستوى عباداتنا، والثانية أن نقضى على أية خصومة وخلاف فيما بيننا ونؤدي حقوق الآخرين، إذ من المحال أن يؤدي المرء حق أخيه ثم تكون بينهما خصومة أو خلاف. لو عمِلنا بهذا المبدأ فسوف نكون من الذين يدركون حقيقة ليلة القدر وسوف نفوز بها أيضا. لقد عرّف المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ليلة القدر في إحدى المناسبات بأنها الوقت الأصفى للإنسان. فلكي نجعل حياتنا صافية علينا السعي للبحث عن مثل ليلة القدر هذه أيضا، وستتيسر لنا حقا حين نكون من الذين يجعلون حياتهم صافية.

والأمر الآخر هو جمعة الوداع كما ذكرتُ آنفا. هناك تصورات عجيبة وغريبة عن هذه الجمعة. إنه لمن فضل الله علينا ومنّته أن وفّقنا للإيمان بإمام هذا الزمان فطهّرنا من الأفكار الخاطئة، وحريٌّ بكل مسلم أحمدي أن يتطهر منها وإلا فلا فائدة من كونه أحمديا. يظن كثير من المسلمين غير الأحمديين أنهم لو اشتركوا في آخر جمعة في شهر رمضان فسوف يُعفَون مِن كل ما تركوه من الصلوات المفروضة في حياتهم، وكأن هذه الجمعة تقضي كل ما عليه من ديْن، أعني أن أحدهم لو استمع لخطبة هذه الجمعة الأخيرة وصلى ركعتين فيها لتطهّر من كل

الذنوب والمعاصي، وأدّى الشكر على كل ما أنعم الله عليه في حياته من المنن والنعم. فكأن ألوهية الله متوقفة عندهم على أربع سجدات يقومون بها اليوم والعياذ بالله. والحق أن الذين يصلّون جمعة الوداع -كما يسمّونها- بهذه النية لا تنفعهم هذه الجمعة ولا ينفعهم شهر رمضان ولا ليلة القدر، بل تأتي هذه الليلة لنفع غيرهم. اعلموا دوما أن أحكام الله تعالى إنما هي منّةٌ علينا، والعمل بها ينفعنا نحن. إنها ليست غرامة حتى يتحايل المرء للتخلص منها. يتحايل المرء للتخلص من العقوبة والغرامة، ولا يبحث العاقل عن تحايل على العمل بما هو نافع له. فمن ذا الذي يريد ألا يُرزق بالأولاد، وألا يُشفى من الأسقام، وألا ينال هو وأولاده العلم، وألا ينعَم أقاربه وأصدقاؤه بالراحة والطمأنينة، وألا ينال أولاده العز والشرف. لا أحد يريد ذلك، إنما يبحث عن الحيل إذا كان الأمر عكس ذلك للتخلص من المشاكل والصعاب. إن بحثه عن الأعذار والحيل للتخلص من أحكام الله تعالى يعني أنه يعدّها مصيبة وأذى والعياذ بالله، مع أن كل ما يعطينا الله من أحكام أو أوامر فهي لفلاحنا ولراحتنا، لذا فعلينا أن نهتم بالعمل بأحكامه سبحانه وتعالى. سواء أكانت الأحكام الإلهية بشأن العبادات أو غيرها فهي كلها لخيرنا وفلاحنا، فاعتبار أي من هذه الأحكام غرامة إنما هو بمترلة الحرمان من الفيوض الإلهية. اعلموا دائما أن الله تعالى هو الذي منحنا الحياة وهو الذي أرسلنا في هذه الدنيا، وهو الذي جعل لحياتنا غاية ألا وهي (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، فما دامت عبادة الله هي غاية خلْقِنا فهي ليست خاصة بيوم معين أو بجمعة معينة واحدة، بل كل صلاة وكل جمعة فرضٌ علينا، بالإضافة إلى النوافل التي يؤديها المرء بحسب قدرته وظروفه للتقرب إلى الله أكثر. فمن واجب المؤمن الحقيقي أن يسعى بكل ما أوتي من قوة للعمل بأحكام الله تعالى كلها وأن يهتم خاصة بعبادة الله التي هي الغاية الأساسية لحياته. واعلموا أن عبادة الله ليست بدون فائدة، بل هي تنفعنا نحن، فألوهية الله قائمة وستظل قائمة بدون عباداتنا أيضا، ولكنا لو عبدنا الله تعالى فسوف نرث نعمه وأفضاله وفيوضه. ضعوا في الحسبان دوما أننا لن نكون من المؤمنين المخلصين في الإيمان إلا إذا عملنا بأحكام الله تعالى. إن علاقة المؤمن المخلص مع الله تعالى تشبه العلاقة بين صديقين، ولنعلم أن الصداقة تكون من الطرفين، حيث يطيع كل واحد منهما الآخر ويطيعه بإخلاص ووفاء، وليس أن يفرض أحدهما على الآخر ما يريد فيطيعه الآخر دائما. فعلاقة الصداقة الدنيوية ترشدنا إلى قضية قبولية الدعاء، أعني أنها تكشف لنا أننا إذا عملنا بأحكام الله تعالى بإخلاص وصدق فإنه سيستجيب لأدعيتنا. إذا كان الصديقان مخلصين في صداقتهما فلا يريد أي منهما الشر بالآخر، وما دام هذا هو حال الصديقين الدنيويين فكيف يمكن أن يريد الله الشر بصديقه مع أنه تعالى هو أوفى من كل وفيّ. الحق أن الإيمان الخالص يجلب رحمة الله وبركته. نرى في الصداقات الدنيوية أن الصديق إذا كان على يقين على أن صديقه وفيّ ومخلص معه، ثم رأى منه ما فيه ضرر ظاهري فإنه يقول في نفسه إن صديقي وفيٌّ معي ولا بد أن تكون وراء ما يفعله مصلحة ما، ولن تكون النتيجة سيئة، لأن صديقي لا يريد الشر بي بل يريد الخير بي. أقول ما دام هذا هو حال الصداقات الدنيوية فكيف يمكن أن يتصور أحد أن الله تعالى يمكن أن يريد به الشر؟ ولكن الذي لا يعمل بأحكام الله تعالى فتصرّفه هذا يوحي حتما أنه يعتبر أحكام الله مصيبة وعذابا، مما يدل على أنه غير صادق في صداقته مع الله تعالى أو أنه تعالى - والعياذ به- لا يتصف بالرحمة والشفقة بل هو ظالم ومجحف وقاس، ويعاقب بدون سبب. ولا شك أن الأمر الثاني باطل وليس

بحق، فإن الله تعالى رحيم وشفيق، ولا بد أن يكون في صداقتنا خلل وعيب، ولا بد أن يكون الضعف والتقصير منا حيث لم نجعل أنفسنا أهلاً لرحمته وشفقته. فهناك حاجة لإصلاح حالنا وتقوية إيماننا والعمل بأحكام الله تعالى باعتبارها رحمة وفضلا، لنكون أهلاً لنزول رحمة الله وشفقته علينا. وإذا اعتبرنا أحكام الله تعالى رحمة وفضلا فلن نودّعها بل سنقوي إيماننا بالعمل بها، والمواظبة عليها، وترسيخها في القلوب.

لا شك أن هناك بعض الأوامر الحكومية التي يعتبرها الإنسان غرامة أحيانًا، أو في البلاد الفقيرة من بلاد العالم الثالث يُصدر الحكام بعض الأوامر التي تتجاوز حدود القانون مما يسبب للناس أذًى كثيرًا، فمثلا تتحول زيارتهم لمنطقة ما إلى أذًى للناس؛ فعندما تكون في منطقة ما جولة أو زيارة للحكام أو المسئولين رفيعي المستوى ترون المسؤولين في مشكلة كبيرة، ويسعى الناس ويدعون أن تُلغى زيارتهم وأن يتخلصوا منه بطريقة أو بأخرى. ولكن لا تشابه أوامرُ الله تعالى تصرفاتِ الحكام الظالمين، بل إنها رحمة، وعدم العمل بها علامة للدمار. كل حكم من أحكام الله تعالى يجلب الرحمة، والعمل به يُنيل رحمةً بلا حدود. لنأخذ مثال الصلاة، فلا يحين وقت الصلاة كي يشعر الناس بأن عبئًا كبيرًا وقع عليهم فليتخلصوا من هذه الغرامة بأسرع ما يمكن وليخرجوها من بيتهم. كذلك لا يأتي شهر رمضان لنُمضيه دون الاهتمام به كأن نصوم لأنه فرضٌ فنصوم مع أهل الدنيا دون أي اهتمام زائد له. كذلك العبادات الأخرى فينبغي ألا نتعامل معها وكأننا نؤدّيها متماشين مع الجو العام إلى أن نتخلص منها، كلا، بل المؤمن يسعى دومًا أن يحتفظ بهذه العبادات عنده. لو صلى مؤمن مرة صلاةً حقيقية بإخلاص القلب فلن تخرج مثل هذه الصلاة من قلبه لأن لها لذةً عجيبة ترغّبه دومًا في الصلاة مستقبلا. وعندما ينهي صلاته بالتسليم فلا تغادره الصلاة، ولا يقصد أنه سلّم سلام الوداع، بل يقوم بالتسليم لأن الله تعالى أمره بذلك، كذلك لا يمكن أن يرحل رمضان أيضا عن المؤمن الحقيقي. ذكر المصلح الموعود رضي الله عنه نقطة رائعة حيث قال: يقال لمن صام في بلادنا أنه وضع الصوم، وهذا التعبير رائع ومعناه أننا لا نودّع الصوم الذي صمناه ومضى يومه بل نضعه عندنا أي نجعله يبقى معنا، وأنه يجعلنا ورثة لأفضال الله تعالى دومًا.

ورد في الحديث الشريف أنه إذا صدر من مؤمن خطأ فإن أعماله الصالحة تصبح له جُنّة تقيه من الدمار. وعليه فينبغي أن يفكر الإنسان في كل حسنة على هذا النحو بحيث لا تغادره هذه الحسنة وإنما تبقى معه، لأنه لا يمكن الاستفادة إلا بما يبقى ويترسخ في القلب. ولقد أُخبرنا في القرآن الكريم من خلال كلمات: (والباقيات الصالحات) أن الأعمال الحسنة هي الباقية، فلا يبقى معنا إلا رمضان الذي قضيناه مركّزين على الأعمال الصالحة. لا شك أن هذه الأيام تنقضي ولكن الأعمال الصالحة التي قمنا بها نتيجة رمضان لن تدَع رمضان يغادرنا. على المؤمن أن يحوّل كل أمرٍ حسنٍ إلى الباقيات الصالحات. فلتنقضِ الأيام ولكن ينبغي ألا ينقضي شهر رمضان، لأن رمضان عبادة والعبادة لا تمرّ ولا تنقضي بل تبقى دومًا في قلب كل مؤمن حقيقي. فهناك حاجة ماسة لنقيم رمضان ونرسخه في قلوبنا كالمؤمن الحقيقي.

قال النبي ﷺ إن المؤمن إذا كسب حسنة نكتت في قلبه نكتة بيضاء، ثم إذا كسب حسنة أخرى نكت نكتة بيضاء أخرى ثم إذا تتابعت حسناته ازداد قلبه بياضًا حتى يبيض كله. كذلك مَن أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه وإذا تتابعت الذنوب، نكت في قلبه نكتة بعد نكتة حتى يسْوَدَّ القلب كله. هكذا فإن الأعمال الصالحة

والسيئة كليهما تجتمعان في قلب الإنسان وتترك آثارهما عليه، فعلينا أن نسعى جاهدين لجمع الأعمال الحسنة فقط في قلوبنا. فلتبقَ تلك الحسنات التي كسبناها في رمضان هذا قائمةً في قلوبنا. ما يريد الله تعالى خلْقه فينا من خلال رمضان هو أن نملأ قلوبنا بالحسنات. فرمضان لم يأت بـــ ٢٩ أو ٣٠ ليلة أو نهارًا لنا، لأن الليل والنهار يتكرر في الشهور الأخرى أيضا، بل جلب لنا هذا الشهر عباداتٍ وأعمالا صالحة أخرى وجاء ينبهنا لأدائها والعمل بها، علينا أن نحتفظ بها في قلوبنا، ولا يسَع أحدٌ سلبَ الشيء الذي حُفِظَ في القلب ما لم يخرجه الإنسان بنفسه ويضيعه. فمن واجب المؤمن أن يقدر إنعام الله هذا حق قدره. تذكروا دومًا أنه لم تأت هذه الجمعة لكي نصليها فنودع بها رمضان بل أتت لكي نستفيد بها إذا شئنا فنجعلها قائمة في قلوبنا. لقد عدّ رسول الله ﷺ الجمعةَ عيدًا من أعياد المسلمين، وهناك ساعة في هذا اليوم تُستجاب فيها الأدعية بكثرة — كما ورد في الأحاديث – فينبغي أن نستفيد بها.

فلم نأت اليوم إلى المسجد لنشكر الله تعالى قائلين بأن المصيبة التي ألقيتَها علينا بصورة رمضان تزول عنا اليوم أو تغادرنا – ينبغي ألا يأتي أحد بهذا التفكير كما ينبغي ألا يكون هذا تفكير أي أحمدي – بل جئنا اليوم لكي نقوم في هذه الساعات المباركة بالدعاء التالي: اللهم سينقضي شهر رمضان كله خلال ثلاثة أيام قادمة أو أربعة، ولكن لا تجعل حقيقة رمضان والعبادات التي قمنا بها فيه والأعمال الصالحة التي كسبناها تغادرنا أبدًا، بل اجْعلها محفوظة في قلوبنا. فلو عرّفنا هذه الجمعة من هذا المنطلق أو أردنا الاستفادة منها فسنجد أنها مليئة بالبركات. ولكن إن انتهى رمضان بهذه الجمعة أو غادرنا بعد ثلاثة أيام أو أربعة ثم نسينا الحسنات التي داومنا عليها فيه فإنه لَشقاء كبير.

لا يفرح الولد عند فراقه من أبيه ولا الأم من ابنها ولا الأخ من أخيه، بل لا يفرح أي صديق مخلص عند فراقه صديقَه ولا عزيزٌ أو قريبٌ لدى مفارقته أعزاءَهم وأقاربهم، إنما نفرح عن انفصالنا عن العدو، وعليه فلا يمكن للمؤمن الحقيقي أن يفرح بفراقه رمضان، ولا يمكن لأحد أن يفرح بانفصال البركة عنه. هل من أحد يفرح عند انفصال البركة عنه؟ ومن فرح بذلك فلا يقال عنه إلا أنه شقي.

فينبغي أن يدعو كل منا اليوم أن يوثق الله تعالى ارتباطنا بهذا اليوم وألا تنفصل من رمضان أيةُ ساعة من ساعات حياتنا. ينبغي أن نتدبر دومًا في حقيقة رمضان، ولقد أخبرنا الله تعالى عن حقيقته — وهو ما ذكرتُه في الخطبة الأولى في شهر رمضان — في قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} (البقرة ١٨٦) أي تلك الأيام المباركة التي نزل فيها القرآن تسمى رمضان. أما إذا توقف نزول القرآن فلن تبقى تلك الأيام مباركة بل ستصبح نحسة. فمن واجب المؤمنين أن يسعوا جاهدين ليجعلوا تركيزهم على قراءة القرآن وتعلّمه – الذي حظوا به في رمضان– جزءًا من حياتهم خلال السنة كلها. لا يتحقق الهدف الحقيقي من نزول القرآن الكريم ما لم نجعله جزءًا من حياتنا، وما لم ننّزله على قلوبنا ثم نحفظه فيها لكي نستفيد به عند كل منعطف من منعطفات حياتنا.

ندعو الله تعالى أن يوفقنا للانتباه دومًا إلى الأمرين اللذين ذكرتهما اليوم، وأن نكون مدركين حقيقتهما، وأن ترتقي بنا ليلة القدر إلى مراقي الفلاح، وأن نكتسب معرفتها الحقيقية، وألا تكون الجمعة الأخيرة من شهر

رمضان - وينبغي ألا يقال عنها أنها جمعة الوداع - مودّعةً بركاتِ رمضان بل ينبغي أن تصبح الاستفاضة به جزءا من حياتنا، وأن نحقق دومًا الهدف من نزول القرآن الكريم.

كما ذكرت سابقًا أيضا عن حالة مسلمي فلسطين، فاذكروهم في دعواتكم بوجه خاص أن ييسر لهم الله تعالى أمورَهم ويخرجهم من محنتهم هذه.

بعد الصلاة سأصلي صلاة الغائب على السيد نعيم الله خان من قيرغيزستان، الذي توفي في ٢١ يوليو ٢٠١٤ إثر صدمة قلبية عن عمر يناهز ٦١ عامًا. إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد وُفق للخدمة في إقامة فروع الجماعة في دول آسيا الوسطى ولاسيما في قيرغيزستان، كما وُفق للخدمة نائبا لرئيس جماعة قيرغيزستان أيضا. كان قد سافر إلى هذه المنطقة تلبية لنداء الخليفة الرابع رحمه الله الذي انتدب الأحمديين للتوجه إلى هذه الدول بقصد التجارة، إلا أنه قام بأعمال الجماعة أيضا، بل كان سباقًا فيها دومًا، وكان يوثر أعمال الجماعة على أعماله الخاصة. ظل يخدم الجماعة بإخلاص حتى آخر لحظة من حياته رغم الظروف غير المواتية.

كان مواظبًا على الصلوات وصلاة التهجد والدعاء، ومُكثرًا من أعمال الخير والصدقة، وسبّاقًا في المساهمة في التبرعات الإلزامية والإنفاق في المشاريع المالية الأخرى للجماعة، ومهتمًّا بإعانة الفقراء وكان مخلصًا جدًّا. كان يرتبط بالخلافة بأواصر المحبة والوفاء. لقد اعتنى بالمبلغين الذين أُرسِلوا إلى هناك لدى مواجهتهم المشاكل هناك، كما كان يهتم اهتمامًا بالغًا بضيوف المركز أيضا. إن جميع المبلغين الذين وفّقوا للخدمة في هذه المناطق أو لا زالوا يوفّقون يقولون بأنه كان شجاعا ويكنّ للجماعة حبًّا وغيرةً. ولقد لعب دورًا هامًّا في شراء مركز الجماعة في قيرغيزستان. كان منضمًّا إلى نظام الوصية. كان متزوجًا من زوجتين إحداهما باكستانية والأخرى روسية، ترك خلفه بنتين وأربعة أبناء اثنان منهم من زوجته الروسية. إن زوجته الروسية التي هي من قيرغيزستان أصلا كتبت إليّ رسالةً أثنت فيها كثيرا على مزاياه وأخلاقه. رحمه الله وغفر له، وكان حافظا ومساعدا لزوجتيه وأولادِه وجعلهم مرتبطين بالجماعة وبالخلافة أيضا، ووفقهم للاستمرار في الحسنات التي كان مواظبًا عليها. آمين.